ألفاظ القبول في القرآن الكريم
«دراسةٌ موضوعية»

الباحث

أ.م. د. أحمد عبد الكريم عبد الرحمن العاني

Acceptance words in the Koran
Objective study

Researcher
Dr. Ahmed Abdul Karim
Abdul Rahman AlAni

الملخص

أهمية البحث تكمن في دراسة موضوع في القرآن الكريم والذي يعد من الموضوعات المهمة لأن له تعلق بقبول الأعمال وردها من قبل الشارع الحكيم، وقد قعد القرآن الكريم القواعد في قبول الاعمال والذي يستند على العقيدة الحقة الذي جاء بها دين الإسلام، وهو الذي يقبل من الإنسان في الآخرة، مع أنه قد تصدر أعمال من الناس قد تكون صالحة لكن لا تستند على حقيقة القبول كونه يعتمد على العقيدة السليمة مع موافقة هدي النبي ﷺ، ولكي تنكشف هذه الحقيقة للعيان كان هدف هذه الدراسة الموضوعية لحقيقة قبول الاعمال وردها وقد جاءت الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث المقدمة أحتوت على أهمية الموضوع وسبب الكتابة فيه مع خطة البحث أما المبحث الأول فقد كان للتعريف بالقبول في اللغة والاصطلاح ومساحة مادة القبول في القرآن الكريم، والألفاظ ذات الصلة والتي قاربة اللفظة عنوان هذا المبحث والذي يتكون من ثلاثة مطالب, ثم المبحث الثاني الذي كان للقبول والذي يعد من ثمرة الرضا بعنوان **(القبول ثمرة الرضا)** ثم المبحث الثالث والذي كان جله في بيان قبول الأعمال وردها والذي كان عنوانه **(أثر القبول في تقرير الأعمال وردها)** فهذا المبحث دراسة في أثر القبول في تقرير قبول الأعمال وردها فهو محور الدراسة وثمرته من حيث المعالجة لموضوع القبول، وقد توصل الباحث الى نتائج مهمة في هذه الدراسة في حقيقة القبول من الشارع الحكيم وثمرات هذا القبول التي لها أثرها في دخول الجنة التي تعد غاية الغايات.. والحمد لله رب العالمين.

* * *

Summary

The importance of research lies in the study of a topic in the Koran, which is one of the important topics because it has to do with the acceptance of the work and its response by the wise street. The Hereafter, although it may be issued works of people may be valid but not based on the fact of acceptance as it depends on sound doctrine with the approval of the guidance of the Prophet peace be upon him. Introduction and three topics It contained the importance of the topic and the reason for writing it with the research plan. From the fruit of satisfaction entitled (acceptance fruit of satisfaction) and then the third topic, which was mostly in the statement of acceptance of business and its response, which was entitled (the impact of acceptance in the business report and its response) Admission, v Connect the researcher on the results of the task in this study in the fact that acceptance of street wise and the fruits of this acceptance by its impact on the entry of Paradise, which is very goals Praise be to Allah, Lord of the Worlds.

* * *

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛فإن القرآن الكريم لا يزال هاديا للمسلمين لحياة كريمة بما وجد فيه من موضوعات تبين هذه الأمور في حياتهم الدنيوية وهي موضوعات تتكشف لنا كلما تقدم بنا العمر وزادت مشكلات الحياة فهو يعد النبراس في هذه الحقيقة التي ظهرت للعيان وللأعداء قبل الأصدقاء فهو ينبوع الحياة والمعين الذي يرفد العلماء بما يستجد في هذه الحياة من أحداث وحلول لأن مصدره الله تعالى الذي خلق الإنسان وهذه الحياة.

أهمية الموضوع تنبع من كون هذا الموضوع من الموضوعات المهمة في قبول الأعمال وردها وقد قعد القرآن الكريم القواعد في قبول الاعمال وردها، والذي يستند على العقيدة الحقة وهي دين الإسلام وهو الذي يقبل من الإنسان في الآخرة مع أنه قد تصدر أعمال من الناس قد تكون صالحة لكن لا تستند على حقيقة القبول والذي يمتثل بالعقيدة السليمة مع موافقة هدي النبي ﷺ.

هدف البحث الكشف عن حقيقة الاعمال من حيث القبول والرد لكي تكون هذه الحقيقة ظاهرة للعيان كانت هذه الدراسة الموضوعية لحقيقة قبول الاعمال وردها نوع الدراسة: دراسة موضوعية اعتمدت فيها على خطة الدراسة الموضوعية والتي تتجلى في مقدمة وثلاثة مباحث المقدمة أحتوت على أهمية الموضوع وسبب الكتابة فيه ونوع الدراسة والنتائج مع خطة البحث أما المبحث الأول فقد كان للتعريف بالقبول في اللغة والاصطلاح ومساحة مادة القبول في القرآن الكريم والألفاظ ذات الصلة والتي قاربة اللفظة عنوان هذا المبحث والذي يتكون من ثلاثة مطالب, ثم المبحث الثاني الذي كان للقبول والذي يعد من ثمرة الرضا بعنوان **(القبول ثمرة الرضا)** ثم المبحث الثالث والذي كان جله في بيان قبول الأعمال وردها والذي كان عنوانه**(أثر القبول في تقرير الأعمال وردها)** فهذا المبحث دراسة في أثر القبول في تقرير قبول الأعمال وردها فهو محور الدراسة وثمرته من حيث المعالجة لموضوع القبول ثم أتيت إلى الخاتمة لأسطر فيها

أهم النتائج في هذه الدراسة الموضوعية والتي تجلت في إبراز دور القبول في تقرير الأعمال وردها ومعالجة هذا الموضوع الذي يقع من الأهمية بمكان ثم المصادر والمراجع والتي كانت تدور في المعاجم

وأشهر كتب التفسير لأستخراج أهم ما يتعلق بالموضوع .

وأخيرا أسال الله أن يتقبل مني هذا العمل البسيط أنه الولي على ذلك والقادر عليه وأن لا يكون فيه شططا ولا اختلافا في قبوله والحمد لله رب العالمين.

* * *

المبحث الأول

مفهوم القبول،وألفاظ القبول في الاستعمال القرآني والألفاظ ذات الصلة للفظة القبول

- **المطلب الأول: القبول في اللغة والاصطلاح.**

القبول :مصدر قبل يقبل قبولا على وزن فعولا[١], بمعنى الرضا[٢]، تقول «قَبِلتُ هديَّتَه أقبَلُها قَبولاً»[٣], وَالله يقبل الْأَعْمَال من عباده، وعنهم، ويتقبلها[٤]، وقد تستعمل هذه اللفظة بمعنى المعاينة أو المقابلة وجها لوجه جاء في التهذيب : وَقبلت الرِّيحُ تَقْبلُ، وَهِي ريحٌ قَبولٌ.

وقَبَلْتُ بِالرجلِ أقبُل بِهِ قَبالةً، أَي: كفلْتُ بِهِ.

وَقد رُوي قَبِلت بِهِ فِي معنى كَفِلْت على مِثَال فَعِلت.

وَيُقَال: سَقَى فلانٌ إِبِلَه قَبَلاً: إِذا صَبَّ المَاء فِي الْحَوْض وَهِي تَشرب مِنْهُ فأصابها.

وَقَالَ الْأَصْمَعِي: القَبل: «أَن يورِد الرجل إِبِلَه فيستقي على أفواهها وَلم يكن هيَّأَ لَهَا قبل ذَلِك شَيْئا.

وَقَالَ الزّجاج: كلُّ مَا عاينْتَه قلتَ فِيهِ أَتَانِي قِبَلاً، أَي: مُعَايَنَةً، وكلُّ مَا استقبلك فَهُوَ قَبَل»[٥]

ومن معاني القبول الأخذ تقول قَبِلْت الشّيء قُبولاً وتقَبَّلْته: أَخَذته[٦]، وبهذا يتبين لنا أن القبول هو أخذ برضا والأخذ يكون بالمواجهة وكلها أمور حسية تلازمها أمور معنوية.

(١) ينظر: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ) المحقق: مسعد عبد الحميد السعدني: دار الطلائع:ص٢٠.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور(ت: ٣٧٠هـ)المحقق: محمد عوض مرعب: دار إحياء التراث العربي - بيروت:ط١، ٢٠٠١م:٩/ ١٣٦.

(٣) المصدر نفسه:٩/ ١٤٠.

(٤) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] المحقق: عبد الحميد هنداوي: دار الكتب العلمية - بيروت:ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م:٦/ ٤٢٨.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة:٩/ ١٣٦.

(٦) ينظر: المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)المحقق: خليل إبراهم جفال: دار إحياء التراث العربي - بيروت:ط١، ١٤١٧هـ١٩٩٦م:٤/ ٤٣.

أما في الاصطلاح فهو عبارة عن ترتب المقصود على الطاعة[١] .

أو هو أخذ الشيء عن طيب خاطر[٢].

- **المطلب الثاني: ألفاظ القبول في الاستعمال القرآني.**

لقد جاءت لفظة القبول في القرآن بصيغ مختلف في سياقها القرآني وهي تؤدي معنى في كل ورودها فقد جاءت في سورة آل عمران بلفظ (بقبول) في قوله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ ﴾[٣] وآل عمران سورة مدنية[٤] وجاءت في سورة آل عمران أيضا بصيغة المضارع (يقبل) قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ ﴾[٥].

كما جاءت في سورة آل عمران أيضا بصيغة المضارع (تقبل) في قوله تعالى(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ)[٦].

وجاءت أيضا في نفس السورة بصيغة المضارع (يقبل) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٩١ ﴾[٧].

وجاءت في سورة التوبة بصيغة المضارع أيضا(تقبل) في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)المحقق: عدنان درويش - محمد المصري: مؤسسة الرسالة - بيروت:ص٧٣٢.

(٢) القاموس الفقهي لغة واصطلاحا: سعدي أبو جيب: دار الفكر. دمشق - سورية:تصوير ١٩٩٣ م ط٢، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م: ٢٩٣.

(٣) آل عمران: ٣٧.

(٤) الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم: الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م:١/ ٤٣.

(٥) آل عمران: ٨٥.

(٦) سورة آل عمران:٩٠.

(٧) آل عمران: ٩١.

إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾[١] وهي سورة مدنية[٢] وفي نفس السورة جاءت بصيغة المضارع (يقبل) في قوله تعالى:(أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[٣] وفي سورة الشورى بصيغة المضارع(يقبل) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾[٤] وهي سورة مكية[٥].

- **المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة للفظة (القبول)**

هناك ألفاظ قاربت لفظة القبول في المعنى وهي ذات صلة بها وجدت في القرآن الكريم, وهذه الألفاظ لها صلتها بهذه اللفظة وتشارك معها في إبراز المعنى التام للفظة وتتجلى في الآتي:

أولا: الرضا: بمعنى القبول

وهو مصدر للفعل الثلاثي (رضي) وهو خلاف السخط بمعنى أنه قبل الشيء وهي حالة الشخص قبل القبول والأخذ والكلمة يدور معناها على الاختيار والقبول والقناعة قال ابن فارس: «الراء والضاد والحرف المعتل أصل واحد يدل على خلاف السخط. تقول رضي يرضى رضى. وهو راض، ومفعوله مرضي عنه. ويقال إن أصله الواو; لأنه يقال منه رضوان»[٦].

ومنه أرضاه: أعطاه ما يرضيه.واسترضاه وترضاه: طلب رضاه، ورضيته به، فهو مرضي ومرضي، وارتضاه لصحبته وخدمته[٧].

يقال: رضِي عنه صديقًا: اختاره وقبِله[٨].

---

(١) التوبة: ٥٤.

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن:١/ ٤٣.

(٣) سورة التوبة الآية:١٠٥.

(٤) الشورى: ٢٥.

(٥) ينظر: الإتقان في علوم القرآن:١/ ٣٦.

(٦) مقاييس اللغة: مادة (رضي)٢/ ٤٠٢.

(٧) القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان:ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م:١٢٨٨.

(٨) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة:٣/ ٩٠٣.

يتبين لنا أن العلاقة بين القبول والرضا علاقة تلازمية فمتى قبل الشخص بشيء فقد رضيه وأخذه والله تعالى أعلم.

أما الرضا في الاصطلاح فهو سرور القلب بِمُرِّ القضاء(١).

ويقال: الرِّضَا: طيب النَّفس فِيمَا يُصِيبهُ، ويفوته مَعَ عدم التَّغَيُّر(٢).

ثانيا: الأخذ: في اللغة مصدر أخذ يأخذ أخذا بمعنى التناول (٣)وَهُوَ خلاف الْعَطاء(٤).

وجاء في الصحاح: أن الأخذ مشتق من أخذت الشيء آخذه أخذا: تناولته. والإخذ بالكسر، الاسم. والأمر منه خذ، وأصله اؤخذ إلا أنهم استثقلوا الهمزتين فحذفوهما تخفيفا. وكذلك القول في الأمر من أكل وأمر وأشباه ذلك. وقولهم: خذ عنك، أي خذ ما أقول، ودع عنك الشك والمراء. يقال: خذ الخطام، وخذ بالخطام بمعنى(٥).

قال ابن فارس:»الهمزة والخاء والذال أصل واحد تتفرع منه فروع متقاربة في المعنى. أما أخذ فالأصل حوز الشيء وجبيه وجمعه. تقول أخذت الشيء آخذه أخذا...»(٦).

يتبين لنا أن القبول والأخذ بينهما عموم وخصوص فالأخذ قد يكون برضا وقبول وقد يكون بالغلبة والقهر فهو أعم من هذا الوجه من القبول والله تعالى أعلم.

وهكذا تبين لنا أن الألفاظ التي قاربت لفظة القبول ساعدت في بيان وتوسيع معنى اللفظة والتي سوف نستند عليها في بيان عناوين القبول في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان: ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م:١١١.

(٢) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة: مكتبة الآداب - القاهرة / مصر:ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤ م:٢٠٩.

(٣) ينظر: كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي: دار ومكتبة الهلال: ٤/ ٢٩٨.

(٤) تهذيب اللغة:٧/ ٢١٦.

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: مادة (أخذ) ٢/ ٥٥٩.

(٦) مقاييس اللغة: مادة (أخذ) ١/ ٦٨.

المبحث الثاني

القبول ثمرة الرضا

إنه مما لا شك فيه أن القبول لا بد أن يسبقه الرضا فهو ثمرة من ثمرات الرضا لذا فقد جاءت الآيات الكريمات لتؤكد هذه الحقيقة، وهذا له أثره ودوره في تثبيت كثير من الأمور أو الحالات التي يمر بها الشخص في حياته العامة والخاصة ففي قوله تعالى على لسان امرأة عمران يبين لنا حقيقة القبول الخاص بحالتها التي ترجو من الله أن يتقبل منها ما نوته في قرارة نفسها فقال: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾[1].

فالله جل جلاله سجل لهذه المرأة الصالحة نيتها،فقد جعلت نذرها الذي في بطنها لله تعالى ويكون محرّرًا لعبادته. فهي بذلك: تحبس المولود الجديد وكانت تظنه ذكرا على خدمة الله تعالى وخدمة قُدْسه في الكنيسة، عتيقةً من خدمة كلّ شيء سواه، مفرّغة له خاصة[2] هذا الرضا من قبل السيدة امرأة عمران أثمر لها رضا الله وقبوله لهذا الذي نوته الذي في بطنها فأعقب الله ذلك بقوله بالتقبل الذي هو زيادة في المعنى نتيجة الزيادة في اللفظ بمعنى القبول التام وإن كان المولود لا يصلح لعمل الرجال فقد جعلته كما ذكر ذلك مجاهد بقوله:جعلته محررا للعبادة للمسجد لم تجعل للدنيا فِيهِ شيئا[3]، ثم يؤكد الله حقيقة قبول الأعمال مرهون بالحقيقة العظمى التي هي منشأ قبول الأعمال وردها في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[4] لأن الدين إذا لم يصل بصاحبه إلى الخضوع والانقياد لله تعالى كان رسوما وتقاليد لا تجدي شيئا، بل تزيد النفوس فسادا، والقلوب ظلاما،

(١) آل عمران: ٣٥.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠ هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة:ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م:٦/ ٣٢٩.

(٣) كتاب تفسير القرآن: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: ٣١٩ هـ)قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد: دار المآثر - المدينة النبوية: الأولى ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م:١٧٤.

(٤) آل عمران: ٨٥.

ويكون حينئذ مصدر الشحناء والعداوة بين الناس في الدنيا، ومصدر الخسران في الآخرة بالحرمان من النعيم المقيم، والعذاب الأليم[١] فالمنهج الإلهي المشتمل على التصور ألاعتقادي، والشعائر التعبدية، والشرائع المنظمة لنشاط الحياة كله يحكم ويصرف ويهيمن على نشاط الحياة كله وهو يسمح للحياة بأن تنمو في إطاره وترتقي وتتطور دون خروج على أصل فيه ولا فرع[٢]، وفي آيات أخرى بين لنا الله تعالى أن عدم القبول من الأشخاص سببه عدم الرضا بهم وبأفعالهم فقال في محكم التنزيل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ٩٠ ﴾[٣] أصابوا ذنوبًا في كفرهم، فأرادوا أن يتوبوا منها، ولن يتوبوا من الكفر فهم مقيمون عليه ولهذا استحقوا السخط وعدم القبول منهم فيما يقدمونه من أعمال حتى وإن كانت صالحة... لأن الله تعالى ذكره وعد أن يقبل التوبة من عباده فقال: ﴿ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ ﴾[٤]، فمحالٌ أنْ يقول عزوجل: «أقبل» و «لا أقبل» في شيء واحد. وإذْ كان ذلك كذلك وكان من حُكم الله في عباده أنه قابلٌ توبةَ كل تائب من كل ذنب، وكان الكفر بعد الإيمان أحدَ تلك الذنوب التي وعد قَبول التوبة منها بقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٨٩ ﴾[٥].

علم أنّ المعنى الذي لا يقبل التوبةَ منه، غيرُ المعنى الذي يَقبل التوبة منه.وإذْ كان ذلك كذلك، فالذي لا يَقبل منه التوبة، هو الازدياد على الكفر بعد الكفر، لا يقبل الله توبة صاحبه ما أقام على كفره، لأن الله لا يقبل من مشرك عملا ما أقام على شركه وضلاله. فأما إن تاب من شركه وكفره وأصلح، فإنّ الله - كما وصف به نفسه - غفورٌ رحيمٌ.[٦]

ثم ذكر الله تعالى فريق آخر لم يقبل منهم أعمالهم لأنهم أبطنوا الكفر وتظاهروا بالإيمان وهذا الفريق يلتحق بالفريق الأول وقد يكون أشد من الأول فقال الله تهالى في حقهم: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ

(١) ينظر: ينظر: تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ): شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر: ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م:٣/ ٢٠٤.

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ): دار الشروق - بيروت- القاهرة: ط١٧ - ١٤١٢ هـ:٢/ ٨٣٣.

(٣) آل عمران: ٩٠.

(٤) التوبة: ١٠٤.

(٥) آل عمران: ٨٩.

(٦) ينظر: جامع البيان في تأويل أي القرآن:٦/ ٥٨٠.

نَفَقَتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾[1].

وعدم القبول منهم لما يضمرونه من الكفر بالله وصفاته على الوجه الحق، وكفرهم برسالة رسوله وما جاء به من الهدى والبينات، ومن أعمالهم الأخرى المحبطة وعدم قبولهم ما يرائون به تقيّة، فهم لا يومنون بها, ولا يقصدون ثوابها واحتسابا لأجرها، ولا تكميلا لأنفسهم بما شرعه الله لأجلها؛ لأنهم لا يأتون أعمالهم ومنه الصلاة إلا وهم متثاقلون كسالى لا تنشرح لها نفوسهم ولا تنشط لها أبدانهم، وهم كارهون لذلك غير طيبة به أنفسهم، لأنهم يعدونها مغارما، فلا نفع لهم بما يقدمون من أعمال ولا تقبل منهم لا فى الدنيا وهو واضح ولا فى الآخرة، إذ لا يؤمنون بها[2].

وبهذا يتبين لنا أن القبول ينبغي أن يكون عن رضى من المتقدم والآخذ وهو ما صرحت به الآيات الكريمات.

* * *

(١) التوبة: ٥٤.

(٢) ينظر: تفسير المراغي:١٠/١٣٧.

المبحث الثالث

أثر القبول في تقرير الأعمال وردها

لقد كان للقبول أثره في تقرير الأعمال وردها وهذا ما جاءت الآيات القرآنية لتأكيد هذا الأثر كما قدمنا في المبحث السابق عن فئة من الناس التحقت بركب الكفار في عدم القبول منها مما يقرر لنا رد أعمالهم عليهم ففي قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[١] سبب عدم القبول هو فسقهم وذلك بإضمار الكفر وإظهار الإيمان فرد عليهم سبحانه إن إنفاقهم حتى إن كان عن رضى فإنهم غير مقبولين بسبب خروجهم عن طاعة الله، ثم بين صفة فسقهم وأعمالهم فقال: فقال: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾[٢] والأعمال كلها شرط قبولها الإيمان، فهؤلاء لا إيمان لهم ولا عمل صالح[٣].

فللقبول أثره في تقرير قبول الأعمال الذي يستند على العقيدة السليمة في أصل الأعمال، فالمنافقون قد أظهروا الإيمان، وكانوا ينفقون، ويؤدون الزكاة، لكن منهم من كان يؤدي طوعًا، ومنهم من يؤدي كرهًا، فجاء التصريح بعدم القبول لهذه الأعمال لأنهم كانوا لا يرون الزكاة قربة، وكانوا ينفقون وهم كارهون في الباطن[٤] وما كان الله ليقبل هذه الحركات الظاهرة التي لا تحدو إليها عقيدة، ولا يصاحبها شعور دافع. فالباعث هو عمدة العمل والنية هي مقياسه الصحيح.

ولقد كان هؤلاء المنفقون وهم كارهون ذوي مال وذوي أولاد، وذوي جاه في قومهم وشرف. ولكن هذا كله ليس بشيء عند الله وكذلك يجب ألا يكون شيئا عند الرسول والمؤمنين. فما هي بنعمة يسبغها الله عليهم ليهنأوا بها، إنما هي الفتنة يسوقها الله إليهم ويعذبهم بها[٥].

(١) التوبة: ٥٣.

(٢) التوبة: ٥٤.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق: مؤسسة الرسالة:ط١٤٢٠١هـ-٢٠٠٠ م:٣٤٠.

(٤) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة):٥/ ٣٨٧.

(٥) في ظلال القرآن:٣/ ١٦٦٥.

فالمفروض فى كل من يعمل عملا أن يجنى ثمرته.. وهؤلاء المنافقون يعملون أعمالا كان من شأنها أن تثمر ثمرا طيبا.. ولكن هناك آفة خطيرة تتسلط على هذه الأعمال، فتأتى عليها، قبل أن تزهر أو تثمر.. وهذه الآفة هى النفاق..

فإذا كان بالمنافقين حاجة إلى أعمالهم تلك، وإلى الثمرة المرجوّة منها، فعليهم أن يحاربوا هذا النفاق، الذي يمنعهم أن ينالوا ثمرا مما يعملون..

قوله سبحانه: ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥ ﴾[1].

فجناية النفاق على أهله ليست واقفة عند حدّ..فهو إذ يفسد على المنافقين كل ما يبدو أنه متصل بما يقرّب إلى الله، من عبادات وقربات،وهو مفسد لكل ما هو متصل بحياتهم الدنيوية، مما يجمعون من أموال، وما يستكثرون من أولاد... فهذه الأموال التي يجمعونها، ويشقون فى جمعها، وهؤلاء الأولاد الذين يعملون لهم، ويكدحون فى الحياة من أجلهم- إنما هى مصادر شقاء لهم، وبلاء عليهم، حيث تبدو جميعها فى ظل الكفر بالله أنها ظل زائل، سرعان ما ينفضون أيديهم منه، إذا هم فارقوا هذه الدنيا، وصاروا ترابا فى التراب... فهم لا يؤمنون بحياة أخرى وراء هذه الحياة، تتصل بها حياتهم، ويجدون فيها شيئا من ثمرة أعمالهم... ومن هنا تتضاعف حسرتهم على هذا المال الذي جمعوه، وعلى هؤلاء الأولاد الذين لن يلتقوا بهم بعد الموت أبدا... وعلى خلاف المؤمنين بالله واليوم الآخر فهم لا يحزنون على ما هو فائت فى هذه الدنيا؛ لأن أنظارهم متطلعة إلى طريق أفسح من طريق هذه الحياة، وقلوبهم معلقة بحياة كريمة أطيب وأخلد من تلك الحياة[2].

ثم يؤكد الله حقيقة قبول الأعمال وتقبلها إلى الحقيقة العظمى التي هي منشأ قبول الأعمال وردها في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ ﴾[3] لأن الدين إذا لم يصل بصاحبه إلى الخضوع والانقياد لله تعالى كان رسوما وتقاليد لا تجدي شيئا، بل تزيد النفوس فسادا، والقلوب ظلاما، ويكون حينئذ مصدر الشحناء والعداوة بين الناس في الدنيا، ومصدر الخسران

(١) التوبة: ٥٥.
(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ): دار الفكر العربي - القاهرة:٥/٧٩٦.
(٣) آل عمران: ٨٥.

في الآخرة بالحرمان من النعيم المقيم، والعذاب الأليم[١].

فالقبول للأعمال مرهون بهذه العقيدة السليمة التي تأخذ عن الله تعالى بواسطة رسوله الأعظم ﷺ فهذا أصل الأصول للقبول التي أمر الله بها هذه الأمة, وأنها هي الفرض الموجه لكل أحد، وهي الدين والإسلام الحقيقي، وأن من ابتغى غيرها، فعمله مردود، وليس له دين يعول عليه[٢].

وقد أكد الله ذلك في غير آية عدم القبول منهم في يوم القيامة فقال: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨ ﴾[٣] والعدل الفداء فالله تعالى يرهب في هذه الآية بيوم لا يقبل من نفس فيما لزمها فدية، ولا يشفع فيما وجب عليها من حق لها شافع، ولا ينصرها ناصر من الله إذا انتقم منها بمعصيتها إياه بأن انحرفوا عن الطريق الحق وكذبوا برسوله ﷺ[٤] وفي هذا تقرير لأصل ديني وهو أن لا نجاة في الآخرة ولا رضوان من الله ولا قرب منه إلا بالعمل بما شرعه على ألسنة رسله من إيمان به وعمل صالح يزكى النفس ويطهرها، أما من دسّى نفسه وأبسله كسبه للسيئات والخطايا واتخذ دين الله هزوا ولعبا وغرته الحياة الدنيا فلا تنفعه شفاعة ولا تقبل منه فدية[٥]،وبهذا يتحقق القبول الذي هو أثر من قبول الأعمال وبتخلفه يكون ردا لها.

* * *

(١) ينظر: تفسير المراغي:٣/ ٢٠٤.
(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:٩٧٠.
(٣) البقرة: ٤٨.
(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن:٢/ ٥٧٤.
(٥) ينظر: تفسير المراغي:٧/ ١٦٢.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة والتجوال في آيات الله تعالى للأسترشاد بها في هذه الحياة الدنيا بدراسة موضوعية تكشف لنا حقيقة الأعمال من حيث القبول والرد نأتي إلى ختام هذه الدراسة لبيان أهم ما توصلت إليه عبر هذه الدراسة الموضوعية من نوعها وهي تتجلى في الآتي:

أولا: أن القبول هو أخذ برضا والأخذ يكون بالمواجهة وكلها أمور حسية تلازمها أمور معنوية. فهو أخذ الشيء عن طيب خاطر.

ثانيا: هناك ألفاظ قاربت لفظة القبول في المعنى وهي ذات صلة بها وجدت في القرآن الكريم وهذه الألفاظ لها صلتها بهذه اللفظة وتشارك معها في إبراز المعنى التام للفظة وهي: الرضا والأخذ. وأن القبول والأخذ والرضا بينهما عموم وخصوص فالأخذ قد يكون برضا وقبول وقد يكون بالغلبة والقهر فهو أعم من هذا الوجه من القبول.

ثالثا: لقد جاءت لفظة القبول في القرآن بصيغ مختلف في سياقها القرآني وهي تؤدي معنى في كل ورودها تجلي لنا القبول وآثاره على طرفي القبول.

رابعا: جاءت الآيات الكريمات لتؤكد حقيقة القبول وأنه ثمرة الرضا، وهذا له أثره ودوره في تثبيت كثير من الأمور أو الحالات التي يمر بها الشخص في حياته العامة والخاصة.

خامسا: يؤكد الله حقيقة قبول الأعمال مرهون بالحقيقة العظمى التي هي منشأ قبول الأعمال وردها هو الدين وهو الإسلام؛ لأن الدين إذا لم يصل بصاحبه إلى الخضوع والانقياد لله تعالى كان رسوما وتقاليد لا تجدي شيئا، بل تزيد النفوس فسادا، والقلوب ظلاما، ويكون حينئذ مصدر الشحناء والعداوة بين الناس في الدنيا، ومصدر الخسران في الآخرة بالحرمان من النعيم المقيم، والعذاب الأليم

سادسا: فللقبول أثره في تقرير قبول الأعمال الذي يستند على العقيدة السليمة في أصل الأعمال، وأن لا نجاة في الآخرة ولا رضوان من الله ولا قرب منه إلا بالعمل بما شرعه على ألسنة رسله من إيمان به وعمل صالح يزكى النفس ويطهرها، أما من دسّى نفسه وأبسله كسبه للسيئات والخطايا واتخذ دين الله هزوا ولعبا وغرته الحياة الدنيا فلا تنفعه شفاعة ولا تقبل منه فدية.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.
١ .الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم: الهيئة المصرية العامة للكتاب:١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
٢ .التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ): دار الفكر العربي - القاهرة.
٣ .تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان: ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٤ .تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت:١٣٧١هـ): شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر: ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
٥ .تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت:٣٧٠ هـ) المحقق: محمد عوض مرعب: دار إحياء التراث العربي - بيروت:ط١، ٢٠٠١ م. المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] المحقق: عبد الحميد هنداوي: دار الكتب العلمية - بيروت:ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠ م.
٦ .تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق: مؤسسة الرسالة:ط١ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م
٧ .جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠ هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة:ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
٨ .الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠ هـ) المحقق: مسعد عبد الحميد السعدني: دار الطلائع.
٩ .الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣ هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار: دار العلم للملايين - بيروت
١٠. ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
١١. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت:١٣٨٥هـ): دار الشروق - بيروت - القاهرة:

ط ١٧ - ١٤١٢ هـ.

١٢. القاموس الفقهي لغة واصطلاحا:سعدي أبو جيب:دارالفكر. دمشق - سورية:تصوير ١٩٩٣ م ط ٢، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.

١٣. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان:ط ٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٤. كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت:٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان: ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٥. كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت:١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي: دار ومكتبة الهلال

١٦. كتاب تفسير القرآن: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: ٣١٩ هـ)قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي،حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد: دار المآثر - المدينة النبوية: الأولى ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م.

١٧. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)المحقق: عدنان درويش - محمد المصري: مؤسسة الرسالة بيروت.

١٨. المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)المحقق: خليل إبراهم جفال: دار إحياء التراث العربي - بيروت:ط١، ١٤١٧هـ١٩٩٦م.

١٩. معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل: عالم الكتب،ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢٠. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة: مكتبة الآداب - القاهرة / مصر:ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م.